اللغة الثانية والكفايات

قبل أن نبدأ في طرق أنواع الطرائق في تعلم اللغة الثانية وجب أن نشير أولا إلى ما نقصده باللغة الثانية هنا، وهي ما عدا اللغة الأم للمتحدث، أما صفة أجنبي عندما تطلق على اللغة فإنها ذات بعد سياسي اجتماعي خالية من أي مبرر لغوي نفسي إلا في العديد من البلدان التي يصعب فيها خلق اهتمام بدراسة من هذا النوع. يضاف إلى ذلك أنه في حالة البلدان التي يتحدث أهلها منذ طفولتهم المبكرة لغات أخرى غير اللغة أو اللغات الرسمية، فإنه من الصعب أن نصف تلك اللغات بأنها أجنبية حتى من وجهة نظر سياسية أو اجتماعية.

إن التمييز بين تدريس لغة يتكلمها كثير من الناس في المجتمع وتدريس لغة أخرى متحدثوها الأصليون خارج ذلك المجتمع هو أمر في غاية الأهمية، وهذا ما سنحاول توضيحه من خلال الحديث عن مجموعة من الطرائق التي تساعد في تسهيل وتيسير العملية.

ذلك أن تدريس اللغة جهد منظم يقوم به المدرس لإحداث تعلم اللغة لدى تلميذ أو أكثر من الناطقين بلغات أخرى غير اللغة هدف التعلم، أي أن تدريس اللغة أمر فريد من نوعه، ذلك أنه لا يوجد تدريس آخر من شأنه أن يحتوي تعلم رمز لغوي حديد يتعارض إلى حد كبير مع رمز لغوي معلوم (لا يعني هذا عدم وجود اتفاق بينهما في بعض الأحيان)، وحيث إن تدريس اللغة فريد من نوعه فيجب ألا يعتمد مباشرة على أصول تعليمية خاصة بموضوعات أخرى في المنهج. كما يجب ألا يعتمد على أنشطة لا تقوم على أو لا تعتمد على التدريس كتلك المتعلقة بالاكتساب الطبيعي للغة الأولى أو الثانية، ذلك أنه بخلاف الاكتساب الطبيعي للغة والذي يكوِّن ذاته بذاته، فإن تدريس اللغة يمكن أن يكون كما نريد له نحن أن يكون على أساس وقواعد نختارها نحن لمناسبتها لموضوعنا ومقاصدنا.

والهدف الأساس من تدريس اللغة هو تحقيق الكفاية لدى الطلاب في أي لغة ثانية، أو يمكن تعريف الهدف من تدريس اللغة بأنه السعي إلى إيجاد ثنائي للغة، ومصطلح "ثنائي اللغة bilingual " هو مصطلح غير دقيق حيث إنه يعني أي فرد لديه معرفة بلغة ثانية وإن كانت تلك المعرفة محدودة جدا وكثيرة الأغلاط.

لذلك فإن هذا المصطلح بحاجة إلى إعادة التعريف كيفا وكما، إذ لا يمكننا اعتبار ثنائي اللغة ذلك الذي يتكلم بطلاقة ولكن بأخطاء، ولا ذلك الذي يتكلم إلا عددا محدودا من العبارات حتى وإن كانت صحيحة، وعليه فإن أدق تعريف لثنائي اللغة هو أنه الشخص الذي يستطيع أن يتصرف نفسيا (يعبر عن نفسه مباشرة) ولغويا (ينعدم لديه التداخل البنيوي) كما يتصرف الناطق الأصلي بكل واحدة من اللغتين.

لا يعني هذا القدر من التصرف تحقيق درجة السيطرة على المفردات في كلتا اللغتين كما هو الحال لدى الناطقين الأصليين بكل منهما، وإن كان عدد قليل جدا من ثنائيي اللغة يستطيعون بلوغ درجة عالية من المفردات.

أشرنا سابقا مفهوم اللغة الثانية وما نعنيه بالدراسة هنا، ونشير ثانية إلى أننا نعني بتعلم اللغة الثانية نمو الكفاية في اللغة الثانية نتيجة للتدريس، إذ لا يقتصر تعلم اللغة الثانية على مجرد تنمية المعرفة عن اللغة ولكن يتضمن تنمية المعرفة باللغة، أي تنمية القدرة لدى الدارس بأن يستخدمها بطلاقة ودقة، وهذا الأمر يقتضي خطة تعلم طويلة."فالكفاية في اللغة الثانية هي تلك المعرفة التي تمكِّن المتحدث من فهم اللغة واستخدامها بدقة وطلاقة وبكيفية ملائمة لجميع الأغراض الاتصالية في الأوضاع الثقافية المناسبة".

تتكون الكفاية في اللغة الثانية من ثلاثة أنماط من الكفاية: لغوية، اتصالية وثقافية، فاللغة (الكفاية اللغوية) تستخدم من أجل الاتصال (الكفاية الاتصالية) في وسط ثقافي (الكفاية الثقافية).

مستويات تعلم اللغة الثانية

من خلال ما سبق ووفقا لما تمليه حاجة التعلم يمكن تحديد مستويات تعلم اللغة الثانية كما يلي:

المستوى المبتدئ beginning level: تتراوح ساعات التدريس الأولى ما بين ٢٥٠-٣٠٠ ساعة، وتتم عادة في السنة الأولى الجامعية.

المستوى المتوسط intermediate level: تتراوح ساعات التدريس ما بين ٢٠٠-٢٥٠ ساعة، وتتم عادة في السنة الثانية الجامعية.

المستوى المتقدم advanced level: تتراوح ساعات التدريس هنا ما بين ١٥٠-٢٥٠ ساعة، وتتم عادة في السنة الثالثة الجامعية. وهنا نشير إلى أن كثيرا من الجامعات لا تقدم برامج لغة في السنة الثالثة.

المستوى المتقدم جدا very advenced level: آخر ١٥٠-٢٢٠ ساعة من تدريس اللغة، ونادرا ما يتوفر لسوء الحظ.

ويمكننا الختام بقولنا أنه يمكن من خلال برامج مكثفة اختصار مشوار التعلم المقترح هذا إلى سنتين أو سنة واحدة من التعلم، الأمر الذي يمكن الدارسين من استخدام اللغة في إغراض عديدة من خلال اعتماد مجموعة من الطرائق نناقشها في المحاضرات اللاحقة بحول الله.